ISSN :1112-4377 مجلة المعيار
مجلد: 28 عدد: 4 (رت 78) السنة: 2024

التناول العقدي للصياغة التربوية في فكر عبد الحليم بن سماية
-مقاربات في شرائط الوعي بالذات-

The Ideological Approach to Educational Formulation in the Thought of Abdel Halim Ben samaya-An Approach to the Conditions of Self-Consciousness

د. فاطمة سوالمي[1]
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة-
f.soualmi2018@gmail.com

تاريخ الوصول 2024/04/08 القبول 2024/05/12 النشر على الخط 2024/06/15
Received 08/04/2024 Accepted 12/05/2024 Published online 15/06/2024

ملخص

تستند الدعامة المعرفية لمضمون الملخص الى تلك التساؤلات العقدية في سياقاتها التربوية في فكر الشيخ عبد الحليم بن سماية في ارتباطها بوعي الذات و تصحيح مسارات توجهاتها نحو أهم قضاياها، و هي علاقة المعتقد السليم في ضبط المواقف و اتخاذ قرارات الدفاع عن هوية الفرد الجزائري، ضد محاولات المسخ الاستعمارية، من خلال توظيف سلامة المعتقد في معاني الايمان والتوكل و لوازمها المعرفية و بناءاتها التربوية لاستعادة تدين سليم بعلائقه المعرفية و الايمانية ،المعول عليها في مشروع إصلاحي هدفه الأول الحفاظ على مقومات الفرد الجزائري.

الكلمات المفتاحية: عبد الحليم بن سماية، الشرائط العقدية، الشرائط المعرفية، الصياغة التربوية.

Abstract

The epistemological pillar of the content of the summary is based on those doctrinal questions in their educational contexts in the thought of Sheikh Abdel Halim Ben Samaya in relation to self-awareness and correcting the paths of its orientations towards its most important issues, which is the relationship of sound belief in adjusting positions and making decisions to defend the Algerian individual's identity against colonialist attempts, by employing the integrity of belief in the meanings of faith and trust and its cognitive requirements and educational structures to restore sound religion with its cognitive and faith relations that are reliable in a reform project whose first goal is to preserve the components of the Algerian individual.

Keywords: Abdel Halim Ben Samaya - nodal strips - knowledge strips - educational formulation.

[1] المؤلف المراسل: **فاطمة سوالمي** البريد الالكتروني: **f.soualmi2018@gmail.com**

مقدمة:

يشكل الدرس التربوي لعبد الحليم بن سماية منهجا إصلاحيا يتوسل به إلى بناء إنسان رفيع الوعي لمتطلبات الأمة وحاجياتها في تلك الحقبة الزمنية، وما تستدعيه من إرادة وقوة وصبر لانتشال الأمة من براثن الجهل والضعف والتخلف. ويكمن نجاح الفعل التربوي في قدرته على ترتيب الأولويات والتركيز على القضايا الأكثر ضرورة وإلحاحا، وهو ما نلمسه في التناول التربوي لابن سماية الذي أولى الجانب العقدي اهتماما بالغا نظرا لأهميته وخطورته في حياة الفرد الجزائري المسلم.

من المؤكد بحال في المنظومة الإصلاحية للشيخ بن سماية أن استعادة الإنسان الجزائري مرهون بسلامة الاعتقاد وصحة الإيمان، وهو لذي يدفع بصاحبه نحو النهوض والتقدم وتحصيل الكمال المنشود.

وقد تجلت شرائط الوعي بالذات في فكر الشيخ بن سماية ضمن سياقات ومباحث تربوية حضرت بصورة قوية في مواضيع كتاباته الصحفية والدروس والمحاضرات التي كان يلقيها على الطلبة. عند حدود هذا الكلام نصل الى إشكال الدراسة والمتمثل في:

- ماهي معالم التناول العقدي عند الشيخ عبد الحليم بن سماية ؟
- كيف انتظمت الشرائط المعرفية والإيمانية لتقيم بناء تربويا إصلاحيا؟ وإلى أي مدى يمكن التعويل على تلك الشرائط في تثبيت قيم التحرر ونفخ روح الحرية؟

أولا: ترجمة عبد الحليم بن سماية:

يعد الشيخ عبد الحليم بن سماية من أوائل رواد الفكر والإصلاح في الجزائر، الذي كان له دورا بارزا في تعزيز الوعي الديني والتحرر من الجهل، كما أسهم بمواقفه وآرائه في بلورة اتجاه وطني ينشد بناء إنسان يستجيب لتطلعات عصره بأهلية تامة على مواجهة إكراهات واقعه وفق مرجعيته العقدية الإسلامية.

1-المولد والنشأة:

هو الشيخ عبد الحليم بن علي بن عبد الرحمن بن حسن خوجة سليل بيت علم ودين، فوالده علي بن عبد الرحمان بن حسن خوجة من أهل العلم ومن حملة كتاب الله ، مشهود له بالعلم والصلاح، اشتغل بالتدريس بعدة مساجد بالجزائر العاصمة، وأمه خديجة بنت أمير خوجة كانت من بيت مجد عريق في الحسب وشرف الأصل يعرف بأسرة آل الشيخ مصطفى بن الكبابطي..[1]

ولد في 15 جويلية 1866م الموافق لـ 1283هـ بمدينة عبد الرحمان الثعالبي بالجزائر العاصمة، أما أسرته فيرجع نسبها إلى أتراك أزمير وتحديدا إلى حسن خوجة قاطع السكة بدار الإمارة الجزائرية على عهد الأتراك، وقد كان لهذا الوسط الأثر الكبير في تنشئته المتميزة وفي شخصيته الفذة، **عاش معاصرًا لعدد العلماء والمصلحين**، مثل الشيخ عبد القادر المجاوي، والشيخ المولود بن الموهوب، والشيخ المولود الزريبي وغيرهم.

في أجواء مدينة الشيخ عبد الرحمان الثعالبي نشأ وترعرع عبد الحليم بن سماية، ومن منابع الفكر فيها نهل وارتوى، فقد كانت الجزائر العاصمة منارة للعلم والفكر يقصدها الطلاب من كل أنحاء البلاد، فكان محبا لطلب للعلم، جامعا لفنون متعددة من علوم عصره.

---

[1]- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، ص 269

2–سيرته العلمية:

حرص والد عبد الحليم بن سماية على رعاية ابنه وتربيته تربية إسلامية صالحة، تكسبه المناعة وتوفر له الحماية ضد صنوف الشهوات وألوان المغريات التي عرفت انتشارا واسعا في عصره بتعليمه القيم والمبادئ الإسلامية، فكان أبوه هو معلمه الأول الذي أخذ عنه مبادئ علوم الدين من لغة وفقه وتوحيد، حيث كان يصطحبه معه لحضور مجالس الدروس التي كان يقدمها في مساجد المدينة، فتكونت لديه ملكة في الإحاطة بمبادئ العلم وقوانينه.

أخذ العلم عن العديد من المشايخ، فدرس القرآن الكريم على يد الشيخ المبارك المأمون حسن بوشاشية، ولازم الشيخ علي بن الحاج موسى، والشيخ الفزدالي، والشيخ طاهر تيطوس، وإلى جانب تفقه الشيخ بن سماية في علوم الدين كانت لديه اهتمامات بالعلوم العقلية والمعارف الفلسفية كالحساب فكان أستاذه الشيخ ابن حمودة، وفي العلوم الكيميائية درس على يد المستشرق الفرنسي ألكسندر جولي، وفي المنطق تتلمذ على كل من الشيخ محمد ين عيسى الجزائري والشيخ محمد المكي بن عزوز. كما كان ملما بعلم مقارنة الأديان، متقنا للغة الفرنسية، وله دراية باللغة العبرية مكنته من الدفاع عن الدين الإسلامي ضد شبه المنصرين والملحدين [1]

وعلى غير عادة علماء عصره لم يكن الشيخ عبد الحليم بن سماية كثير الترحال، وكان يفضل الإقامة في بلده الجزائر عن حياة السفر والتنقل، وتذكر المصادر أنه كانت له رحلات إلى المشرق العربي وبلاد الشام والحجاز أين أدى فريضة الحج هناك، كما كانت له زيارة لتونس دامت 15يوما.

أمضى الشيخ بن سماية سنوات عمره في مدينته الجزائر العاصمة، كانت حافلة بالبذل والعطاء في سبيل صقل النفوس وتربيتها على العقيدة الصحيحة المستمدة من القرآن الكريم والسنة ، فجعل من مساجدها منبرا لنشر العلم وتربية الفرد وإصلاح المجتمع لأجل استعادة نموذج الإنسان المكلف بمهمة العمارة والاستخلاف، ولقد أستنار بعلمه وسار على دربه خلق كثير، تولى العديد منهم بعده مهمة التغيير والدعوة إلى تصحيح الوعي بالذات وبعناصرها الفاعلة لمواجهة المحتل واللحاق بركب الأمم المتحضرة ، أمثال عبد الرحمان دالي، مزيان عبد السلام، ابن أبي شنب، عبد الرحمان الجيلالي.[2]

وقد كان للشيخ عبد الحليم بن سماية لقاءات علمية مع نخبة من أشهر العلماء في عصره، أمثال الشيخ محمد عبده الذي زار الجزائر في صيف 1903م، وأثنى عليه برسالة مما جاء فيها قوله: " حضرة الأستاذ الفاضل الشيخ عبد الحليم بن سماية...لا يزال يؤنسني مثال من علمك وفضلك، ويعجبني رفيق رقيق من كمالك ونبلك، وما كان ذلك ليفارقني بعد أن صار بضعة مني، ولو كشفت لك من نفسك ما كشف لي منها، لعلمت مقدار ما أتاك الله من نعمة العقل والأدب، ولعرفت أنك ستكون إمام قومك تهديهم إن شاء الله سبل الرشاد"[3]

كما التقى عبد الحليم بن سماية بالعالم الزيتوني الشيخ محمد الخضر حسين في سنة 1904 في رحلته إلى الجزائر، الذي أشاد به وقال عنه: "التقينا بالشيخ الحليم بن سماية، فغمرنا بنفحات حلقه الناضر، واختلى ألبابنا بفصاحة لسانه الساحر."، وبعد مجالسته

[1] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ج3، ص65

[2] – عبد الرحمان الجيلالي، مصدر سابق، ص205

[3] – ومحمد رشيد رضا، ناريخ الأستاذ محمد عبده، ط2، دار الفضيلة، 1427هـ-، 2006م، ص617.

لشيخنا في بيته لمدة 6ساعات قال عنه الشيخ الخضر: " كلام يشهد لصاحبه بسلامة الذوق والولوع بالكشف عن أسرار المسائل دون الاكتفاء بتصوراته المجردة"[1]

3–مؤلفاته:

ترك الشيخ عبد الحليم بن سماية العديد من المؤلفات تراوحت بين الكتاب والرسالة والقصيدة، نذكر منها:

–رسالة عن الربا بعنوان اهتزاز الأطواد والربى في مسألة تحريم الربا في سنة 1911م

–رسالة في التوحيد والرد على شبه المبطلين والملحدين

–كتاب في التصوف بعنوان الكنز المدفون والسر المكنون'' في سنة 1913م

–كتاب بعنوان: فلسفة الإسلام

كما كانت له عدة أبحاث ومقالات منها بحث شارك به في المؤتمر الدولي الرابع عشر للمستشرقين في عام 1905بعنوان: ''الحضارة الإسلامية والفلسفة''

4–وفاته:

توفي ليلة الخميس ، الخامس من شهر رمضان سنة 1351هـ ، الموافق لـ 2 جانفي عام 1933م في مسقط رأسه بمدينة الجزائر العاصمة ، وقد حضر جنازته حشد غفير من الطلاب والأصحاب ، ودفن بمقبرة الشيخ عبد الرحمان الثعالبي.

ثانيا: بناء المفاهيم الدينية

1- الوعي الديني:

يعد التوحيد من الأركان الأساسية للعقيدة الإسلامية، وهو جوهر الحضارة الإسلامية، وخاصية من خصائص الدين الإسلامي التي تميزه عن غيره من العقائد والأديان التي تقوم بالأساس على الفكر الوثني والعشوائية الدينية التي نأى عنها الدين الإسلامي لقيامه على عنصر التوحيد الذي هو اعتقاد وحدانية الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله، وهو غاية خلق العالمين وأصل دعوة جميع المرسلين فقد أخبر الله عز وجل عن رسله أنهم جميعا كانوا يقولون لأقوامهم :

"وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ" الأعراف65:

"وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ "الأنبياء: 25

"وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ.." الذاريات: 56

والإيمان بوجود إله متصف بكل صفات الجلال والكمال يثمر في النفس الأمن والسكينة ويشعرها بالعزة والاستعلاء، ويكسبها مناعة نفسية تمكن الفرد المسلم من التعامل مع إكراهات الواقع بكل عزم وقوة وثبات أمام الواقع المرير الذي كان يعيشه الجزائريون في تلك الفترة بفعل المستعمر والتخلف الناتج عن عصور الانحطاط والجمود الفكري مما تسبب في سوء الفهم لحقيقة التوحيد، حيث تهافت الناس على الكثير من المعتقدات الباطلة كزيارة القبور والأضرحة وإضفاء هالة من التقديس على الموتى بالتوجه إليهم بالدعاء والخوف والرجاء، مما يحتم ضرورة استدعاء مفهوم التوحيد الذي يشير لتوجيه

[1] – عبد الرحمان الجيلالي، مصدر سابق، ص279.

المسلم لعبادة الله وإفراده بالعبادة دون سواه على جميع المستويات الظاهر والباطن لتصحيح سلوكيات الفرد الجزائري وتخليصها من مظاهر الشرك التي هيمنت على حياة الجزائريين نتيجة الجهل بتعاليم الإسلام.

ويرى بن سماية أن تطهير العقائد وتنقيتها من البدع والضلالات يعتمد بالأساس على دعوة الناس إلى الأخذ والتلقي من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والاقتداء بمنهج السلف في فهم قضايا العقيدة واستيعابها، أي قبل مرحلة الاختلاف التي أثرت في التعامل مع القضايا الدينية حيث استحالت فيها بعض المسائل العقدية إلى مناظرات ومجادلات امتزج فيها الجدل الكلامي بالنسق الفلسفي وتحولت العقيدة إلى قضايا نظرية مجردة تفتقد للعناصر الروحية الأصلية للعقيدة الإسلامية[1].

وهنا يبدو التأثر واضحا بالدعوة السلفية التي أعلنها التيار الإصلاحي ممثلا في الشيخ محمد عبده ، الذي دعا إلى فهم الدين على طريقة السلف الصالح والتصالح مع العصر ضمن ثنائية الأصالة والمعاصرة كشرط أساسي لانعتاق الأمة من أسارى التبعية والضعف والتخلف كما يتضح من النص الذي أورده صاحب المنار وهو يؤرخ لزيارة الإمام محمد عبده للجزائر1903م على غرار زيارته لأقطار المغرب العربي حيث يقول: "وقد وجد له في تونس والجزائر حزبا دينيا ينتمي إليه من حيث لم يكن يعلم" [2]

والرجوع إلى سلف الأمة في بواكيرها الأولى يستهدف حماية الجزائريين من فتنة الشرك ومن فكرة وجود الوسيط بين الإنسان وربه، التي حاول المستعمر إدخالها إلى ذهنيات العامة محاكاة للفكرة المسيحية، إذ يعد وجود الولي الصالح في المخيال الشعبي الجزائري دليلا على شدة التدين الذي يدفع بصاحبه إلى تقديس صاحب الضريح سعيا منه للحصول على رضا الله والتبرك به على نحو ما يرى المستشرق الفرنسي أدموند دوتيE.doute-

وهي ذات المفاهيم التي تمسكت بها الطرقية المنحرفة بتوظيف أدبياتها لتخدير العقول وتغييب الإرادة الجمعية الفاعلة للاستئثار بسلطتها والحفاظ على مكاسبها المادية والمعنوية، يقول الشيخ مبارك الميلي: "... وقد وجد في عصرنا من الطرقيين والمرابطين من ينتصب للدعاء ويصرح بكونه واسطة بين الله وخلقه في جلب المحبوب ودفع المكروه، فإذا رضي عن أحد ضمن له ما يشتهي من حاجات من الدنيا نعيم الآخرة، وإذا غضب عن آخر توعده بحلول النقمة، ورضاه وغضبه تابعان لمطامعه فيما في أيدي الناس[3]"

وهو الامر الذي دفع عبد الحليم بن سماية إلى إيضاح حقيقة الإسلام وبيان الأفعال والممارسات المنافية لحقيقة التوحيد المتضمن الإقرار بوحدانية الله عز وجل، وأنه هو وحده المستحق للعبادة دون سواه ، فإنه يلزم إقراره بأن هذا الإله هو رب العالمين، له

---

[1]- عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية -1931-1945م، ط1، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، 1981م، ص54.

[2]-:.المرجع نفسه، ص56.

[3] – مبارك الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، ط3، جار البعث، قسنطينة، 1982م، ص277-281,

الأسماء الحسنى والمتصف بكل صفات الكمال والجلال [1]. يقول الإمام محمد عبده" :فمن أقر بتوحيد الله يلزم إقراره بنفي الألوهية عن كل موجودات العالم، وإثبات الألوهية له وحده سبحانه وتعالى[2]"

ثالثا: الشرائط العقدية

1- بين الإرادة الإلهية والإرادة الإنسانية

استهدفت دعوة الشيخ عبد الحليم بن سماية تصحيح بعض المفاهيم الدينية وتحريرها من التفسيرات الخاطئة ذات الصلة بملابسات تاريخية وسياسية، والتي ترسخت بفعل الزمن في الوعي الديني للإنسان الجزائري لتتحول إلى عقائد دينية تحيل كل الأزمات الواثبة على صدر الأمة إلى أسباب غيبية كما هو الشأن لدى بعض الطرقية المنحرفة، التي استغلت اختلال الوعي الديني والثقافي لدى الإنسان الجزائري لتقدم صياغة دينية مشوهة لمفهوم القضاء والقدر تعمل على التمكين للوجود الاستعماري، وتعزيز سيطرته وفرض هيمنته على الشعب الجزائري وفق رؤية تبريرية تم استخدامها لتصوير المحتل الفرنسي بوصفه قدرا محتوما تجعل وجوده مسألة عقدية مرتبطة بالإرادة الإلهية التي لا يمكن الاعتراض عليها.

وهي رؤية مغايرة لحقيقة التوكل في العقيدة الإسلامية الذي يعد من أرفع المقامات الإيمانية، النابضة بالقوة والفعالية والداعية إلى الأخذ بأسباب الاستخلاف والعزة والتمكين مع تعلق القلب الدائم بالمولى جلّ وعلا.

وفي هذا الصدد يذكر الشيخ بن سماية :"...وربما زاد تغلغل أهل الكسل في تتبع شهوة الراحة وتوطيد دعائمها حتى يدعوهم ذلك إلى مقاومة من يدعوهم إلى الحركة والاكتساب بدعوى أنهم من المتوكلين، والتوكل مما أمر به الشرع ومدح به، فيستنتج الفهم حينئذ أن الكسل كما يدعو إلى تعطيل الجسم عن الحركة، يستتبع العقل أيضا في تعطيله عن الإدراك"[3] .

أدرك الشيخ بن سماية خطر هذه الأفكار وآثارها السيئة على تقدم الأمة وتطورها، فكتب يقرر أن حقيقة التوكل تنصرف إلى الجمع بين الأخذ بالأسباب والاعتماد على الله، مبينا أن الشرع الحنيف حث على التوكل بأساليب شتى وصور متنوعة لصون النفس من عوامل الضعف والسلبية، وأن ثمة فرقا بين التواكل الذي تنصرف فيه الذات عن الاحتكاك بالواقع والميل إلى حياة الراحة و الكسل بالابتعاد عن مجالات السعي والعمل، وبين التوكل الذي يعد من أرفع المقامات الإيمانية بما يبعث في النفس من الأمن والطمأنينة وشدة العزيمة التي تدعوه إلى الأخذ بأسباب العزة و التمكين والاستخلاف مع تعلق القلب الدائم بالمولى جلا وعلا.

ويشدد الشيخ عبد الحليم بن سماية على أن التواكل هو مسلك مناف لحقيقة الدين واختيار العاجزين الذين سوغوا لأنفسهم الكثير من المبررات الملتبسة المعبرة عن سقطاتهم ومواقفهم السلبية تجاه الدين والوطن والمجتمع ، ومن رام

[6]- محمد نعيم ياسين، الإيمان، الطبعة 4، مكتبة الرسالة، عمان 1405، 1975م، ص 9.

[2] – محمد عبده، رسالة التوحيد، تحقيق: محمد عمارة، ط2، بيروت، 1981م، ص37.

[3]– ابن سماية، القوة الجاذبية، مجلة المغرب، العدد2، 1903م، ص12.

حصول المطلوب بمجرد توكله على الله دون مباشرة الأسباب المفضية إلى نتائجها، فقد هدم تعاليم الدين لأن الله أمر بالأخذ بالأسباب واستنفاذ كل الطاقات لمواجهة المعضلات والتحديات التي تعترض طريق الأمة ومقاومتها لتخليص البلاد من قبضة الاحتلال.[1]

ولذلك فطلبها من غير أسبابها يعد قصورا في الفهم وضعفا في الوعي لأن ارتباط الأسباب بالمسببات تعد سنة كونية وعبادة شرعية واجبة، وهذا ما يفهم من قوله تعالى: " **إِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** " **الجمعة: 10**

وقد توافق المستعمر مع الطرقية المنحرفة لتسويق تلك المفاهيم الدينية المنحرفة وإشاعتها بين الشعوب الإسلامية وتوظيفها لممانعة الوعي المسلم عن التفكير والتطلع لأفق التغيير حفاظا على بقائه واستمراريته في البلاد الإسلامية، كما يتضح من بيان العفو الذي أصدره نابليون عقب ثورة القاهرة1798 ،م الذي خاطب فيه الأهالي ليعلمهم أن حملته العسكرية على مصر هي استجابة لأمر إلهي، فالله قدر في الأزل أن يأتي من أوروبا لحماية المصالح الفرنسية في مصر بتقدير الله وإرادته وقضائه، ولردع المتمردين على السلطان والمتطاولين على الفرنسيين، ولا ينبغي لعاقل أن يشك أن مهمته تمت بتقدير الله وإرادته[2] ليرسخ في الأذهان أنه لم يأت لاحتلال البلاد ة ولا للقضاء على الإسلام، وهي استراتيجية فكرية عملت على توظيف مفاهيم دينية لكسب واستمالة مشاعر الشعوب الإسلامية تم توظيفها لأغراض سياسية

2- الإيمان وبناء الإنسان المؤهل لتحرير الأوطان :

اتجه الشيخ عبد الحليم بن سماية من خلال مهامه التعليمية إلى الاشتغال على الذات لتخليصها من الاختلالات التي أصابتها من جراء تظافر جهود مكونات ثلاث هم التخلف والجهل والمستعمر، هذا الأخير الذي تفنن في هدم وتدمير كل ماله صلة بمقومات الذات الثقافية كالدين واللغة والعادات والتقاليد ما نتج عنه فوضى أخلاقية عبثت بالبنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري، حيث انتشرت الآفات وكثرت الانحرافات وغيرها من الحجب والعلائق التي تعيق النفس وتمنعها من استكمال آدابها لتحصيل الكمالات الروحية الناظمة لتماسك لشعب الجزائري ووحدته ما يعزز قدرته على مواجهة ظلم المحتل الفرنسي والتضحية لافتكاك حريته، واستكمال .النفس لآدابها عند مفكرنا يتحقق بممارسة الفعل التحرري الذي ينصرف إلى ما يتناول النفس لأجل إصلاحها وما يتعلق بالمجتمع لغرض النهوض به وتطهيره من الآفات الاجتماعية التي عمل المستعمر على نشرها.

ويرى عبد الحليم بن سماية أن تحرير النفوس من الأفكار والتصورات التي تستعبد الفكر وتعمل على تعطيل العقل يبدأ بالتوجه إلى بواطن النفس والغوص في أعماقها قصد التعرف على مثالبها وفقه نزواتها التي تعيق النفس عن تحقيق توازنها واستقرارها الذي يعد شرطا ضروريا لإعادة صياغة الوعي الثقافي والحضاري، مما يؤكد على قيمة الانسان ومحوريته في مشروعه الاصلاحي المنوط بمدى استعداده واستجابته لفعل التغيير الواعي الذي يسعى من خلاله إلى تحقيق تطور الفرد الجزائري وإصلاحه وفق مرجعيته العقدية وبما

[1] – ابن سماية، القوة الجاذبية، مجلة المغرب، العدد4، 1903م، ص12.

[2] – محمد عبد الله الشرقاوي، الاستشراق–دراسات تحليلية تقويمية، طلية دار العلوم، القاهرة، 1982م، ص70.

يواكب عصره ويتناسب مع أهدافه وطموحاته التي تستهدف تحريره من أسر الأهواء وذل الخضوع للموجودات منطلقا من الآية القرآنية" :**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ "الرعد :١١**

والظاهر عند الشيخ بن سماية أن النفس من أشد الأخطار التي تواجه الإنسان بما يملكه من أفكار سلبية إذا استولت على كيانه دفعته نحو مخالطة المعاصي والوقوع في المهلكات، وهذا المنطوق يحيلنا على وعيه بطبيعة النفس القابلة للتغيير والتعديل وعلى وعيه بعيوبها وأهوائها التي تدخل الإنسان في دائرة الصراع النفسي بحكم جبلتها الظلمانية أو الجاذبية السفلى كما عبر عنها ابن سماية التي تريد التسفل به باعتبارها منبع الأهواء والشرور والآثام ، وبين الروح التي تريد الارتقاء به والعروج في عالم الحقوق والواجبات .وقد استمد الشيخ بن سماية فهمه لحقيقة النفس من القرآن الكريم ، قال تعالى " :**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ** "يوسف 53 :

ومن هذا الفهم ركز على ضرورة البدء بإصلاح النفس واكتشاف دواخلها إذ هي الأساس لإصلاح المجتمع الجزائري وإنقاذه من العبثية والفوضى الأخلاقية التي أصابته جراء السياسة الاستعمارية الفرنسية وأساليبها المتنوعة الرامية الى تفكيك البنية الاجتماعية للامة الجزائرية، وذلك بزرع مجتمع استيطاني أوروبي يستهدف تفريغ الإنسان الجزائري من محتواه القيمي وتحويله إلى فراغ يتم التحكم فيه بمنظومته القيمية ذات الحمولة الثقافية المتحيزة ضد كل ما هو غير أوروبي التي تتوسل في انتشارها وهيمنتها على مجموعة من الأدوات الفكرية والتقنية، وهو الأمر الذي خطط له المستعمر منذ مجيئه للجزائر عام1830 م كما جاء في العديد من مذكرات الساسة والمثقفين الفرنسيين[1]، مما أثر سلبا على سلوك الفرد الجزائري، ودفع بالكثير منهم إلى تقليد نمط حياة المستوطن الأوروبي ومحاكاة أفعاله، مما أساء لصورة المجتمع الجزائري الأصيل كما يذكر الأستاذ عمر راسم الذي أشار إلى التدهور الأخلاقي الذي أصاب المجتمع الجزائري، وكيف أسهم الوجود الاستعماري بمناهجه التعليمية التي فرضت على أبناء الشعب الجزائري في تشكيل وعي جمعي ينفر من كل ما هو إسلامي فامتلأت الشوارع باللصوص والسكرين، وخلت المساجد من المصلين وانتشرت الفواحش والآفات عمت مدن البلاد.[2]

وهذا ما استوجب من رجال الإصلاح على غرار الشيخ بن سماية البحث عن الحلول الكفيلة باستعادة الانسان الجزائري التواق لممارسة الفعل التحرري انطلاقا من مرجعيته العقدية التي منحت الانسان الحرية بكل امتداداتها وأشكالها ومظاهرها وسعت لاسترداد إنسانيته الكاملة غير منقوصة، فالإيمان بالله والاعتقاد بتفرده في الخلق والايجاد والملك والتدبير والإحياء والإماتة والنفع والضر يبعث في النفس البشرية الشجاعة والاقدام ويحول دون الخضوع والاستسلام لأي شكل من أشكال الظلم والعدوان.

وهو الفهم المستفاد من منطوق النص :" العقول تنزع إلى المعالي وبعض العقول مائلة إلى الحضيض، ولئن كان الأمر كذلك فنسمي العقل حينئذ من حيث ميله إلى الكمال والمعالي عقل، ومن حيث ميله إلى النقص نفس[3]"

---

[1] - أحمد طالب الإبراهيمي، من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية1972-1962:، تر :عيسى بن حنفي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1972 م،ص.16

[2] - محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج2، المطبعة العربية، الجزائر،2007 م، ص95

[3] – عبد الحليم بن سماية، جريدة المغرب، العدد21، 4أفريل1903م

مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 28 عدد: 4 (رت 78) السنة: 2024

رابعا: الشرائط المعرفية

1- العلم وبناء الوعي بالذات

يعول الشيخ بن سماية في مسعاه التربوي كثيرا على العلم ودوره في بناء الوعي بالذات الذي ينصرف إلى بيان كوامن الانسان وترشيدها نحو تحقيق مقاصد الاستخلاف والتمكين، قال تعالى: "**وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون**" الذاريات: 56، وقوله الحق :" **هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ** " هود: **61**

وممارسة دور الاستخلاف والإنماء والإعمار في الأرض عند مفكرنا يستلزم توافر مقومات الكفاءة العلمية التي تفسح المجال لارتياد مجاهيل الكون بغوره واكتشافه واستثماره واقترانها بارتياد مجاهيل النفس بمكاشفتها ومصارحتها على حقيقها وصونها عما يشينها ، كما يقول "استقامة أحوال الناس مرتبط بالعلم، فكلما كان مصباحه منيرا على دربهم كان كل واحد منهم عالما بما له وما عليه، سالكا سبيل الهدى، ملتزما أخلاقيا....وهذا مرتبط بعقول الناس ومدى وعيهم لحقيقة واقعهم، لأن من الناس من يميل إلى الحضيض وليس له وعي"[1]

كما يدعو إلى الانخراط والإسهام فيما ينفع من العلم بجميع أشكاله الشرعي والدنيوي لأنه من مقومات النهوض والريادة ، حيث يقول" : العلم نافع مطلقا، لأن المعلوم إذا كان نافعا فيطلب ويعمل به وإذا كان ضارا فيهجر ويفر منه...ومتى مال العقل إلى ما فيه منفعة من جلب نفع أو دفع ضر إلا وهو سائر في طريق السعادة والإصلاح[2]"

مقتديا في ذلك بالهدي النبوي فقد روى زيد بن الأرقم رضي الله عنه أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- كان يقول" :اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لها "[3]

و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحض على العلم النافع ويحث عليه فيقول: "سَلُوا اللَّهَ عِلْمًا نَافِعًا"[4]

كما يلتمس المقصود من العلم النافع أيضا عند الشيخ بن سماية في منظوره لقيمة الوقت و دعوة الفرد الجزائري إلى استثمار أوقاته فيما ينفع لينجح في تحقيق طموحه والانعتاق من أسر الاحتلال الذي لم يكتف باحتلال الأوطان لينتقل لنهب الأوقات وسلب الأعمار لتوظيفها في الاستهتار بمهمة الإنسان في الحياة، فجعلت غالبية الجزائريين يزهدون في عنصر الزمن الذي يعد من مقدمات الحالة الحضارية، ويعيشون بلا هدف، حيث يمضون وقتهم ما بين المقاهي والطرقات ووسائل اللهو كممارسة لعبة" الدامة "ولعبة الورق "الكارطة "وتعاطي الحشيش، وشرب الخمر[5]

لقد كان الشيخ بن سماية شديد العناية بهدم أنساق الرداءة وقبيح الفعال وخلالها أشار إلى ظاهرة انتشار لعبة القمار في المجتمع الجزائري مذكرا بما لهذه اللعبة من آثار سيئة ومضار كثيرة على الإنسان تعوده على هدر الوقت، وتورثه الكسل، والركون للراحة، وتعطل فيه طاقات الأمة وفاعليتها، وهو المسعى الآثم الذي عمل لأجله المستعمر عبر تاريخه الأسود لهدم مكونات الذات الجزائرية،

---

[1] – ابن سماية، القوة الجاذبية، جريدة المغرب، العدد4 /21أفريل1903م

[2] – مصدر سابق، العدد1، 10أفريل1903م

[3] – مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل (2722)،

[4] – ابن ماجه: كتاب الدعاء، باب ما تعوذ منه النبي صلى الله عليه وسلم(3843)،

[5] – عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، ص412.

من خلال زرع المفاسد والمثالب التي ترتكن إلى صهر شخصية الفرد الجزائري وذوبانها في ثقافة المحتل الفرنسي لتمرير جميع الأفكار التضليلية التي تستهدف استعباد الشعوب وبقاءهم بين ثنايا الجهل وتغييب الوعي.

وهي وصايا لكبار المنصرين التي حرص على تنفيذها المستعمر، أمثال المنصر الأمريكي صموئيل زويمر رئيس جمعيات التبشير الذي أعلن في مؤتمر القدس للمبشرين المنعقد سنة1927 بأن التبشير في البلاد المحمدية لا يستهدف دعوة المسلم لاعتناق المسيحية لأن هذا يعد له تكريما وتشريفا له، وإنما يسعى لإخراج المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لا تربطه صلة بالأخلاق طيعا منساقا وراء أهوائه ورغباته[1] .

خاتمة

في ختام دراستنا نصل الى النتائج الآتية:

- يعد الشيخ عبد الحليم بن سماية من رواد الفكر والعمل الإصلاحي في الجزائر
- لقد عول الشيخ عبد الحليم بن سماية على الصياغة العقدية في استرجاع الشخصية الجزائرية وفق بناءات تربوية فاعلة
- تعد الشرائط العقدية والمعرفية من دعائم المشروع الإصلاحي في توجهاته التربوية
- يشكل الوعي بالذات ولوازمه التربوية حجر الزاوية في مقصد تحرير الأوطان في فكر عبد الحليم بن سماية
- يمكننا الاعتداد بشرائط الإصلاح وسياقاتها التربوية كنموذج تربوي لإبراز التوافقات العقدية والتربوية في الحفاظ على هوية الفرد ومقومات الأمة الجزائرية.

قائمة المصادر والمراجع

1. الإبراهيمي أحمد طالب، من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية: 1962-1972، تر :عيسى بن حنفي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1972 م
2. الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م
3. الميلي مبارك، رسالة الشرك ومظاهره، ط3، جار البعث، قسنطينة، 1982م
4. ابن سماية عبد الحليم، القوة الجادبية، جريدة المغرب، العدد4 /21أفريل1903م
5. الشرقاوي محمد عبد الله، الاستشراق-دراسات تحليلية تقويمية، طلية دار العلوم، القاهرة، 1982م
6. بوصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية -1931-1945م، ط1، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، 1981م
7. دبوز محمد علي، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج2، المطبعة العربية، الجزائر،2007 م
8. رشيد رضا محمد، تاريخ الأستاذ محمد عبده، ط2، دار الفضيلة، 1427هـ-2006م
9. عبده محمد، رسالة التوحيد، تحقيق: محمد عمارة، ط2، بيروت، 1981م
10. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م
11. شاتليه ا.ل، الغارة على العالم الإسلامي، ترجمة: محب الدين الخطيب ومساعد اليافي، ط2، الدار السعودية للنشر، جدة،1387 هـ

[1] – ا.ل شاتليه، الغارة على العالم الإسلامي، ترجمة: محب الدين الخطيب ومساعد اليافي، ط2، الدار السعودية للنشر، جدة،1387 هـ، ص.20

12. نعيم ياسين محمد، الإيمان، الطبعة 4، مكتبة الرسالة، عمان 1405، 1975م

References :

1. al-Ibrāhīmī Aḥmad Ṭālib, min Taṣfiyat al-isti‘mār ilá al-thawrah al-Thaqāfīyah : 1962-1972, tara : ‘Īsá ibn Ḥanafī, al-Sharikah al-Waṭanīyah lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, al-Jazā’ir, 1972m
2. al-Jīlālī ‘Abd al-Raḥmān, Tārīkh al-Jazā’ir al-‘āmm, ṭ2, Dīwān al-Maṭbū‘āt al-Jāmi‘īyah, al-Jazā’ir, 1982m
3. al-Mīlī Mubārak, Risālat al-shirk wa-maẓāhiruh, ṭ3, Jār al-Ba‘th, Qusanṭīnah, 1982m
4. Ibn smāyh ‘Abd al-Ḥalīm, al-qūwah aljādbyh, Jarīdat al-Maghrib, al‘dd21/4’fryl1903m
5. al-Sharqāwī Muḥammad ‘Abd Allāh, alāstshrāq-drāsāt taḥlīlīyah taqwīmīyah, ṭlyh Dār al-‘Ulūm, al-Qāhirah, 1982m
6. bwṣfṣāf ‘Abd al-Karīm, Jam‘īyat al-‘ulamā’ al-Muslimīn al-Jazā’irīyīn wa-dawruhā fī Taṭawwur al-Ḥarakah al-Waṭanīyah al-Jazā’irīyah-1931-1945m, Ṭ1, Dār al-Ba‘th lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr, Qusanṭīnah, 1981M
7. dbwz Muḥammad ‘Alī, Nahḍat al-Jazā’ir al-ḥadīthah wthwrthā al-mubārakah, j2, al-Maṭba‘ah al-‘Arabīyah, al-Jazā’ir, 2007m
8. Rashīd Riḍā Muḥammad, Tārīkh al-Ustādh Muḥammad ‘Abduh, ṭ2, Dār al-Faḍīlah, 1427h-2006m
9. ‘Abduh Muḥammad, Risālat al-tawḥīd, taḥqīq : Muḥammad ‘Imārah, ṭ2, Bayrūt, 1981M
10. Sa‘d Allāh Abū al-Qāsim, Tārīkh al-Jazā’ir al-Thaqāfī, Ṭ1, Dār al-Gharb al-Islāmī, Bayrūt, 1998M
11. shātlyh A. L, al-Ghārah ‘alá al-‘ālam al-Islāmī, tarjamat : Muḥibb al-Dīn al-Khaṭīb wmsā‘d al-Yāfī, ṭ2, al-Dār al-Sa‘ūdīyah lil-Nashr, Jiddah, 1387h